

العقيدة والتوحيد

في كتاب "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف" للأمير عبد القادر الجزائري

Creed and monotheism

In the book "Situations in Some of the Qur'an's References to Secrets and Knowledge" by Prince Abdul Qadir Al-Jazaery

فرعون حمو*¹، وزار سليمان²

جامعة مستغانم/ الجزائر (hamoufiras@gmail.com)

جامعة مستغانم/ الجزائر (ouzar.2009@yahoo.fr)

تاريخ الاستلام : 2018/07/29 ؛ تاريخ القبول : 2018/11/19 ؛ تاريخ النشر : 2018 /12/ 20

Abstract

الملخص

The book "The Attitudes in Some Qur'an References to Secrets and Knowledge" is the book described by the great French orientalist Jacques Berque, who said, "The literary splendor of many paragraphs of the positions may overturn several postulates, and that the true renaissance, undoubtedly, may not be found where he is looking for it." The book described by the eldest son of Emir Abd al-Qadir al-Sayyid Muhammad Pasha saying (on the authority of his father and his book) "He excelled in the arts of the science of Sharia and the truth and has many authorships. He realized his merit and acknowledged his high rank, and said about him, "He has in the art of Sufism the lofty standing, the long standing, the solid footing, and his generous "positions".

كتاب "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف" هو الكتاب الذي وصفه المستشرق الفرنسي الكبير جاك بارك *Jacques Berque* قائلا "إن الروعة الأدبية للعديد من فقرات المواقف قد تقلب عدة مسلمات، وأن النهضة الحقيقة بلا ريب قد لا توجد حيث يبحث عنها"، وهو الكتاب الذي وصفه الأبن الأكبر للأمير عبد القادر السيد محمد باشا قائلا (عن والده وكتابه) "وبرع في فنون علم الشريعة والحقيقة وله تأليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة وهو لعقد تأليفه واسطة النظام ولمطلع مجده بيت القصيد وحسن الختام ومن أمعن النظر في خطبه أدرك منها فضله واقر بعلو مرتبته، وقال عنه "وله في فن التصوف المقام الشامخ والباع الطويل والقدم الراسخ و"مواقفه" الكريمة .

Keywords : Creed, monotheism, secrets and knowledge, Prince Abdul Qadir.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، التوحيد، الأسرار والمعارف، الأمير عبد القادر .

* الباحث المرسل:

مقدمة :

كتاب "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف"، هو الكتاب الوحيد الذي فتق به الأمير عبد القادر الجزائري علوم التصوف والعرفان وأبدع فيها، ويعتبر هذا الكتاب أهم وأعظم ما ألفه الأمير بشهادة ابنه الأكبر محمد باشا الذي يقول عن والده الأمير عبد القادر "وله في فن التصوف المقام الشامخ والباع الطويل والقدم الراسخ و"مواقفه" الكريمة أعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف والمشاهد على انه جمع قصب السبق في جميع الفنون وجمع ما تفرق في غيره من حسن الأوصاف"¹، كما يؤكد الأمير محمد باشا أن كتاب المواقف هو أهم مكتوبات الأمير ويصفه بأنه "لعقد تأليفه واسطة النظام ولمطلع مجده بيت القصيد وحسن الختام" ويقول عنه "وبرع في فنون علم الشريعة والحقيقة وله تأليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة وهو لعقد تأليفه واسطة النظام ولمطلع مجده بيت القصيد وحسن الختام ومن أمعن النظر في خطبه أدرك منها فضله واقر بعلو مرتبته"²، وعن كتاب المواقف يقول المستشرق الكبير جاك بارك "إن الروعة الأدبية للعديد من فقرات المواقف قد تقلب عدة مسلمات، وإن النهضة الحقيقة بلا ريب قد لا توجد حيث يبحث عنها"³.

1- إطلالة على كتاب "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف"

يذهب الأستاذ عبد الباقي مفتاح⁴ إلى أن أصل فكرة تأليف كتاب المواقف يرجع إلى الأيام الأولى من حلول الأمير بدمشق في ربيع الآخر من عام (1272هـ 1856م)، فقد وقع أن أحد زائري

1- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، السيرة القلمية، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903م. ج 2 ص 267.

2- نفسه، ج 2 ص 304

3 - « La splendeur littéraire de maints passages des « mawaqif » risque de renverser bien des hiérarchies reçues et de montrer que la vraie « nahda » (renaissance) n'est sans doute pas là où on la cherche ». Jacques Berque, L'intérieur du Maghreb (15ème-19ème siècle), [Gallimard Editions](#), 1978, p 192.

4- الأستاذ عبد الباقي مفتاح من الباحثين المتخصصين المختصين في فك شفرة الخطاب الصوفي الأكبري والأميري معا ، وهو ومحقق كتاب المواقف، وصاحب الدراسات والبحوث النوعية في مجال التصوف، الذي اعتمدنا على نتائج دراساته وتحقيقاته ولخصناها هنا.

الأمير كان مع ابنه، واستأذن الابن بالانصراف من والده، فأذن له قائلاً: (الله معك)، فعلق الأمير على هذا الدعاء من الأب بكلام جميل حول العلاقات بين الأب والابن، مستلهماً الآية 4 من سورة الحديد في قوله تعالى "وهو معكم أينما كنتم"⁵، وبعد أن انتهى من كلامه طلب ثلاثة من سامعيه تسجيل ما نطق به، فأذن لهم، وكان ذلك منطلق نواة كتاب المواقف، وهؤلاء الثلاثة هم الشيخ محمد الخاني⁶، والشيخ محمد الطنطاوي، والثالث هو الشيخ عبد الرزاق البيطار⁷، فكتاب المواقف مؤلف من نصوص كتبها الأمير تلقائياً ابتداء من نفسه، ونصوص أملاها الأمير على أولئك الثلاثة، والعديد منها أجوبة عن أسئلة طرحت عليه، ومجموعها شكل كتاب المواقف الذي ظهرت منه مخطوطات في حياة الأمير، ثم تكاثرت نسخها بعد وفاته، وبعض النسخ خرجت خلال حياة الأمير قبل انتهائه من إكمال كل المواقف، مما يفسر النقص الواقع فيها، مثلاً في طبعة الجزائر للمواقف يوجد فيها 368 موقفاً بينما في طبعة دمشق يوجد 372 موقفاً، والموقف 364 في طبعة الجزائر أطول بأزيد من الضعف مما هو عليه في طبعة دمشق، فكتاب المواقف استغرق جمعه سنوات عديدة خلال استقرار الأمير بدمشق أي ما بين سنتي (1272 و 1300هـ/1856 و 1883م)، وتعددت أزمنة وأمكنة تأليفه بحسب الواردات التي كانت ترد على الأمير، فهي تارة في أمبواز بفرنسا، وطوراً في مكة، وتارة في المدينة المنورة وأغلبها في دمشق، وبحسب تحقيق الأستاذ عبد الباقي مفتاح، يظهر أن الأمير عبد القادر قد اكتفى في البداية باختيار اسم "المواقف" فقط عنواناً لكتابه، لكنه لما وصل إلى الموقف 360 ورد عليه الإلهام بأن يزيد في العنوان "قيل لي زد في تسمية كتابك" المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف"، فهذا هو العنوان الصحيح الكامل، والعنوان الموجود في طبعة الجزائر سنة 1996م فيه زيادة حيث تقرأ (المواقف الروحية في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف والإلقاءات السبوحية)، وأما العنوان الموجود في طبعة دمشق سنة 1967م،

مقدمة كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، تحقيق عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1426 هـ، 2005م.

⁵ - ينظر كلام الأمير حول هذه الآية في المواقف 252/137/132/78.

⁶ - الشيخ محمد الخاني، "هو محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني الخالدي النقشبدي، ولد في دمشق الشام خلال شهر رجب عام سبع واربعم ومائتين والف" انظر، عبد المجيد بن محمد الخاني، الحقائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، دار رئاس للطباعة والنشر، مطبعة وزارة التربية، الطبعة الثانية أبريل، 2002م، ص 364.

⁷ - عبد الرزاق البيطار (1253هـ/1335هـ/1837م - 1916م) عالم وفقيه صوفي أديب مؤرخ، ومن تأليفه كتاب «المنة في العمل بالكتاب والسنة» وكتاب «المباحث والغرر في حكم الصور»، و«حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» في ثلاثة أجزاء، وفيه ترجمة حافلة للأمير ولابنيه محمد ومحي الدين، وفيه وصف دقيق لفتنة المسيحيين في دمشق عام 1860م، ودور الأمير في إطفائها.

فهو (كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد)، واختار الدكتور عاصم الكيالي عنوان "المواقف الروحية والفيوضات السبوحية عنواناً لتحقيق كتاب مواقف الأمير، وكلمة (المواقف)⁸ هي جمع لموقف، وفي مصطلحات الصوفية الموقف هو البرزخ الفاصل بين مقامين أو حالين يوقف فيه السالك ليعرف بالآداب اللاتقة بالمقام الذي سيعرج إليه⁹،

يتألف كتاب "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف" من مقدمة رائعة على شكل مقامة، ثم من مجموعة من القصائد الصوفية، ثم فصول لكل فصل موقف، وعددها 372 موقفاً، في ثلاثة مجلدات.

أقصر المواقف في بضعة سطور، وأطولها في عشرات الصفحات، ويمكن تصنيفها إلى ستة أنواع: أ . المواقف المفتحة بالآيات، وفيها شرح صوفية لتلك الآيات، وكثيراً ما تتخللها آيات أخرى وأحاديث نبوية، وعدد هذه المواقف مائة وبضع وتسعون، والملاحظ أحياناً وجود عدة مواقف لنفس الآية كآية الحديد الآية 4، لها المواقف 252/137/132/78، أو تفسير سورة بكاملها أو جلها كسورة التكويد (موقف 291) أو سورة الشمس (موقف 86) أو الفاتحة (مواقف 59/14) أو سورة الناس (موقف 175).

ب . المواقف المفتحة بالأحاديث النبوية أو القدسية والشارحة لها، وتتخللها آيات أو أحاديث أخرى، وعدد هذه المواقف نحو الخمسة والأربعين.

ج . المواقف التي هي أجوبة على أسئلة حول كتاب الفتوحات المكية، وعددها نحو الثلاثة عشر.

⁸ - وفي طبقات الصوفية نجد ثلاثة منهم قد سبقوا الأمير في استعمال هذه الكلمة: الأول هو الشيخ محمد بن عبد الجبار النفري (توفي في 354هـ) فله كتاب من أروع ما كتب في الأدب العرفاني الصوفي الرفيع وعنوانه (المواقف والمخاطبات)، يشتمل على فصول كثيرة، في كل فصل موقف من مواقف المعرفة، يتجلى الحق تعالى فيه على عبده مخاطباً إياه بما يليق بذلك الموقف (ينظر ما ذكر الشيخ الأكبر في الفتوحات حول النفري في الأبواب التالية: 41 (I ص 613) 74/ II ص 279/142 III ص 147، وقد طبع كتاب (المواقف والمخاطبات) للنفري في القاهرة سنة 1934 وأشرف على تحقيقه وترجمته إلى الإنكليزية المستشرق A. J. Arberry. ونشر ترجمته في كمبريدج سنة 1935). وقد شرح هذا الكتاب أحد عمالقة المشرب الأكبر وهو الشاعر العارف غفيف الدين التلمساني (توفي في 690هـ)، أما الثاني فهو الشيخ عبد القادر بن محمد المعروف بابن قضيب البان (توفي في 1040هـ بجلب) وهو أيضاً أكبري المشرب، وله كتاب (المواقف الإلهية) المؤلف من ثمان وعشرين موقفاً، أولها (موقف نفس الرحمن) وآخرها (موقف الجنان) وفيه وصف لمشاهدته الروحية ومخاطبات الحق - تعالى - له، والثالث هو عبد الله البوسناوي (توفي في 1054هـ) له كتاب (مواقف الفقراء)، كما له شرح على فصوص الحكم، وشرح التائية الكبرى لابن الفارض (توفي في 632هـ).

⁹ - ينظر معنى المواقف في الفتوحات المكية لابن العربي، طبعة دار صادر بيروت، ج 1 ص 392، ج 2 ص 609.

د . خمسة مواقف لشرح أبواب من فصوص الحكم وهي فصوص لقمان (موقف 294) وإسماعيل (355) وشعيب (358) وآدم (367) عليهم السلام.

هـ . نحو العشرة مواقف يصف فيها الأمير بعض وقائعه الروحانية .

و . نحو التسعة مواقف لشرح حكم وأقوال وأبيات شعر صوفي .

ولعل أهم مواضيع كتاب المواقف بحسب تحقيق الأستاذ عبد الباقي مفتاح أيضا هي:

- حقيقة وحدة الوجود بالمعنى الإسلامي الأصيل والوجدان العرفاني العميق، لا بالمفهوم الفلسفي الإلحادي الذي يخلط بين الخالق والمخلوق، بل بالمفهوم القرآني في توحيد الأفعال ووحدة الأسماء الصفاتية وأحدية الذات من حيث أنه تعالى " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " ¹⁰، و"فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" ¹¹.

- مكانة الإنسان الكامل الخليفة المخلوق في أحسن تقويم، ومظهره الأعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ينظر مثلاً الفصل 34 من الموقف 284/الموقف 367 في شرح فص آدم عليه السلام/الموقف 370).

- تفصيل مراتب الوجود، خصوصاً في الموقف 284 المذيل بنحو أربعين فصلاً، يقع في نحو 160 صفحة، وفيه فصل مراتب الوجود تفصيلاً رائعاً واسعاً لم يسبق إليه، وهي شروح لفصول من الباب 198 من الفتوحات، وقال الأمير أنه يمكن أن يجعل هذا الموقف رسالة مستقلة عنوانها: [بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب].

- شمولية الرحمة لكل الخلق.

- مدارج السلوك ومعارج المقامات والأحوال العرفانية.

- ضرورة الالتزام ظاهراً وباطناً بالشرعية المحمدية وعقيدة السلف الصالح.

1- خرائط العقائد في الدين الإسلامي

(عقيدة الإثبات، عقيدة التقويض، عقيدة التنزيه، عقيدة التجلي).

عكس ما هو شائع في الخطاب الديني الرسمي الإسلامي من أن المسلمين متفقين على إعطاء تصور موحد عن معنى التوحيد، فإن مراجعة فاحصة لتاريخ الإسلام العقائدي وجولة في تفاصيل

¹⁰ - سورة الشورى الآية 11.

¹¹ - سورة البقرة، الآية 115.

عقائد المذاهب الإسلامية تؤكد أن المسلمين مختلفين أشد الاختلاف في إعطاء تصور وعقيدة واحدة عن الله.

وبعد الحفر والتنقيب والمقارنة الدقيقة الفاحصة في كتب الملل والنحل أمكننا رصد وحصر داخل الدائرة الإسلامية خمس تصورات عن الله، حيث وجدنا أن الخريطة العقائدية اللاهوتية عند المسلمين تتوزع إلى أربع مذاهب كبرى أو بمعنى آخر إن عقيدة المسلمين في الله تنقسم إلى:

1- عقيدة الإثبات، 2- عقيدة التفويض 3- عقيدة التنزيه 4- عقيدة التجلي.

. **التفويض:** هو مذهب من يسكتون عن إعطاء أي تحديد لمفهوم لله ويفوضون معاني آيات وأحاديث الصفات الواردة في الكتاب والسنة إلى الله ويمتنعون عن التأويل أو التحديد ويفضلون الإمساك والسكوت وعدم الإدلاء بأي رأي¹² والتفويض هو مذهب عموم المسلمين قديما وحديثا ومذهب أغلب السلف¹³.

¹² - قال الخليل ابن احمد الفراهيدي "فوضت إليه الأمر أي جعلته إليه وقال الله عز وجل "وأفوض أمري إلى الله" سورة غافر الآية 44 أي اتكل عليه" كتاب، العين، مكتبة لبنان ناشرون، 2004م ج7 ص64، وقال ابن منظور في كتابه لسان العرب ج7 ص210 "فوض إليه الأمر صيره إليه وجعله الحاكم فيه وفي حديث الدعاء فوضت أمري إليك أي رددته إليك يقال فوض أمره إليه إذا رده وجعله الحاكم فيه ومنه حديث الفاتحة فوض إلي عبيدي"

¹³ - قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم "اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين احدهما وهو مذهب السلف أو كلهم انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها و نعتقد لها ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وانه منزّه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققهم وهو اسلم "أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ. ج3 ص19 وج 17 ص182. وقال الإمام الذهبي "وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل امنوا وكفوا وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله" وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج13 ص351 "وهذا مستند السلف قاطبة في الأخذ بما ثبت عندهم من آيات القرآن وأحاديث النبي (ص) فيما يتعلق بهذا الباب فامنوا بالمحكم من ذلك وفوضوا أمر المتشابه منه إلى ربحهم" سير إعلام النبلاء، 1413هـ-1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج14 ص386، وقال الإمام الترمذي في سننه مثبتاً للسلف مذهب التفويض ايضاً "والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رويوا هذه الأشياء ثم قالوا تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه "سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج4 ص492. وقال الإمام الجلال السيوطي في كتابه الإنتقان "من المتشابه آيات الصفات... وجهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهها له تعالى - عن

الإثبات: وهي عقيدة من يُسمون أنفسهم بالسلفيين أو أهل الإثبات، وهم الذي يثبتون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من دون تأويل، وزعيمهم الأكبر هو ابن تيمية الحراني الذي يلقيه أتباعه ومحبيه بشيخ الإسلام، وتصورهم عن مفهوم الله يتحدد من خلال عقيدتهم التي قسموها إلى توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية وتوحيد أسماء وصفات¹⁴، ولعل أهم ما يميز عقيدة السلفيين في الله هي اعتقادهم أن الله محدود بحد، والخطورة الكبرى أنهم يكفرون كل من لم يعتقد أن الله محدود بهذا الحد¹⁵.

التنزيه: وهي عقيدة المتكلمين عموماً على اختلاف مدارسهم السياسية (سنة شيعية إباضية)، وعقيدة المنزهة في الله، تتأسس على إثبات ما أثبتته العقل لله تعالى، ونفي ما نفاه العقل عنه، فالعقل عندهم هو المرجع وهو الحاكم على تصور معنى العقيدة في الله، ووسيلتهم الكبرى ومنهجهم الأكبر في تحقيق ذلك التنزيه هو التأويل والمجاز، وتصور الله عند المنزهة قائم على نفي كل صفات النقص، والله عندهم يعرف دائماً بالسلوب أي سلب كل الصفات التي لا تليق بالله حسب تصور العقول، وهذا التصور التنزيهي العقلي هو العقيدة الرسمية للمعتزلة والإباضية والأشاعرة وعموم أهل السنة والجماعة، انطلاقاً من أنه دائماً "حضرة التنزيه هي حضرة نفي السلوب، وإثبات الوجوب"¹⁶.

التجلي: وهي عقيدة المحققين من السادة الصوفية أمثال الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي الحاتمي الأندلسي (شيخ الأمير عبد القادر ومثاله الأعلى)، وعقيدة التجليات هي عقيدة جامعة للتشبيه والتنزيه، وجامعة للإطلاق والتقييد، بل جامعة لكل عقائد الخلق في الله من جهة، ومختلفة عنها جميعاً أيضاً من جهة أخرى، يقول الناطق الرسمي باسم عقيدة التجليات الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي

حقيقتها". جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، منشورات الشريف الرضي، قم- إيران، الطبعة الثانية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2 ص10.

¹⁴ - من كبار علماء الجزائر الذين ردوا على عقائد الإثبات، محدث الحرمين العلامة الشيخ محمد العربي التباني السطاي، في كتابه براءة الأشعرين من عقائد المخالفين، مطبعة العلم، دمشق سوريا، 1387هـ، 1967م، الطبعة الأولى.

¹⁵ - وأشهر فتوى بتكفير من نفى الحد عن الله فتوى ابن تيمية التي يقول فيها بالنص "فهذا كله وما أشبهه من شواهد ودلائل على الحد ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آيات الله" انظر كتابه "درأ تعارض العقل والنقل"، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم الطبعة الثانية، ج2 ص58.

16 - محمد أبو المواهب الشاذلي، قوانين حكم الإشراف، دار الكتب العلمية بيروت، 2007م، ص12.

في كتاب "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار
والمعارف" للأمير عبد القادر الجزائري

عقد الخلاق في الإله عقائدا *** وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه¹⁷
قال الأمير الجزائري بلسان حاله ومقاله معبرا عن هذه عقيدة التجليات الجامعة¹⁸
أنا الحب والمحبة والحب جملة *** أنا العاشق المعشوق سرا وإعلانا
ففي أنا كل ما يؤمله الوري *** فمن شاء قرأنا ومن شاء فرقنا
ومن شاء تورا ومن شاء إنجيلا *** ومن شاء مزمارا زبورا وتبينا
ومن شاء مسجدا يناجيه ربه *** ومن شاء بيعة ناقوسا وصلبانا
ومن شاء كعبة يقبل ركنها *** ومن شاء أصناما ومن شاء أوثانا
ومن شاء خلوة يكن بها خاليا *** ومن شاء حانة يغزل غزلانا
ففي أنا ما قد كان أو هو كائن *** لقد صح عندنا دليلا وبرهانا
وقال¹⁹

أنا العابد المعبود في كل صورة *** فكنت أنا ربا وكنت أنا عبدا
فطورا تراني مسلما أي مسلم *** زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدا
وطورا تراني للكنايس مسرعا *** وفي وسطي الزنار أحكمته شدا
أقول باسم الابن والأب قبله *** وبالروح روح القدس قصدا لا كيدا
وطورا بمدارس اليهود مدرسا *** أقرر تورا وأبدي لهم رشدا
فما عبد العزيز غيري عابد *** ولا اظهر التثليث غيري ولا أبدا
أنا عين كل شئ في الحس والمعنى *** ولا شئ عيني فاحذر العكس والطرذا

4- بعض مظاهر عقيدة التوحيد والتجليات في كتاب "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف"

¹⁷ - ابن عربي، الفتوحات المكية، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق، القاهرة، سنة 1293 هـ. الباب الخامس و الثلاثون و ثلاثمائة في معرفة منزل الأخوة و هو من الحضرة المحمدية و الموسوية.

¹⁸ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم الكيلاني، دار الكتب العلمية، 2004م، 1425هـ، ج1، ص 38.

¹⁹ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مرجع سابق، ج 1، ص 36.

عقيدة التجلي بمعناها الصوفي الأكبري²⁰ تسري في كل المنظومة النظرية التنظيرية عند الأمير عبد القادر، فيها يفسر كل شيء، ففي عقيدة الأمير " كل شيء من الأشياء هو تجل من تجلياته تعالى"²¹، حتى شيوخ عبادات الأصنام يربطها الأمير بالشمول الأنطولوجي للتجليات الإلهية يقول " ولعموم التجلي عبد كثيرون من نار ونور وملائكة وحيوان وشجرة وكواكب فالتجلي الإلهي عام في جميع الموجودات"²²، والطريف أن يلقي هذا التصور من بعض وجوهه مع تصور كلود ليفي ستراوس الذي صرح قائلاً " ليس عندي أي مانع أو اعتراض على تسمية أو تعريف الله ما يشبه فكرة منتشرة وموزعة بحيث نتصوره متجلي في الكون كله وأنه يظهر بدرجات مختلفة في الحيوانات العليا أو الدنيا وحتى النباتات المتواضعة منها"²³.

وفي اختلافات تصور معنى الله، يقول الأمير ملخصاً " فالإله الذي عرفه الأشعري، غير الإله الذي عرفه المعتزلي، غير الإله الذي عرفه الظاهري، غير الإله الذي عرفه الحكيم الفيلسوفي"²⁴، الإله الذي يؤمن به الأمير هو " الإله الذي عرفته الأنبياء والرسل وأتباعهم، غير الإله الذي عرفته جميع الطوائف النازرة بعقولها وموازين أفكارها إسلامية وغيرها، فإن إله الرسل والأنبياء عليهم السلام مع انه ليس كمثلته شيء يجئ وينزل ويهرول ويسعى ويضحك ويبشش وله قدم ووجه وجنب وعين وأعين ويدان وأيدي ويجوع ويمرض، وهذا الإله لا تعرفه جميع الطوائف ولا تصدق بوجوده

²⁰ - الأكبري نسبة إلى شيخ الصوفية الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي (560هـ - 1165م - 638هـ - 1240م).

²¹ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم الكيلاني، دار الكتب العلمية، 2004م، 1425هـ، ج 1 ص 95.

²² - نفسه، ج 2 ص 373.

²³ - "Le problème de Dieu ne s'est jamais posé pour moi, même depuis l'enfance. Ce n'est pas le mot qui me fait peur. J'ai le sentiment très profond qu'il ne peut exister un hiatus complet entre la pensée et la vie. Je ne verrais aucun inconvénient à appeler Dieu une sorte de pensée diffuse dont on concevrait qu'elle soit répandue dans tout l'univers et qui se manifesterait à des degrés différents chez les animaux supérieurs et inférieurs, dans les plantes même, jusqu'aux plus modestes. Mais la notion et la représentation d'un Dieu personnel me manquent et me manqueront toujours, sans doute, jusqu'à la mort". (La Croix, janvier 1979). [http://tempsreel.nouvelobs.com/actualites/culture/20091103.OBS6731/quelques_grandes_citations_de_claude_levistrauss_h](http://tempsreel.nouvelobs.com/actualites/culture/20091103.OBS6731/quelques_grandes_citations_de_claude_levistrauss_html)

[tml](#)

²⁴ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مرجع سابق، الموقف الثالث والسبعون بعد المائة، ج 1 ص 313.

بل تكفر ما جاءت به الرسل من نعوته إن كانت كافرة وتقول له إن كانت مسلمة حتى ترتضيه وتقبله عقولها، فإذا جاء رب الأشعري إلى المعتزلي أو الظاهري أو الحكيم وقال لهم "أنا ربكم قالوا نعوذ بالله منك لست أنت ربنا وهذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه" وهكذا كل طائفة إذا جاءها رب الأخرى تعوذت منه وأنكرته وذلك لأن أرباب أصحاب العقول مقيدة محدودة محصورة تحت أحكام العقول، فلا تعطيهما العقول السراح وتطلقها من قيودها حتى تضحك أو تهزل أو تجوع أو تتحول من صورة إلى صورة ونحو ذلك، بخلاف رب الرسل والأنبياء ومن تبعهم فإنه مطلق لا قيد ولا حصر ولا حد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد إن الحكم إلا لله، فيتجلى كيف شاء بما شاء لمن شاء، وله أن يفعل جميع ما منعه منه العقول مما نعتته به أنبياءه ورسله مع أنه ليس كمثله شيء فاهم ما نعوته إلا بعلم وإذن منه، ورب الأنبياء والرسل ومن تبعهم لا ينكره أحد منهم إذا قال لهم أنا ربكم بل لا ينكرون أرباب الطوائف كلها فإنهم عرفوا الرب المطلق، الذي يحكم ولا يحكم عليه فمن نظر بعين الإنصاف ورمى التقليد أو التعصب والإعتساف عرف الحق فعرف أهله - أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار²⁵، فمن أراد معرفة اله الرسل والأنبياء ومن تبعهم عليهم الصلاة والسلام، فليتبع سنتهم ويقف عند حدودهم التي حدوها، ويقتدي بهم ظاهرا وباطنا ويستعمل الأسباب التي وضعها كمل العارفين الداعين عباد الله تعالى إلى معرفته على طريقة الأنبياء، فليواظب عليها فإنه سبيل معرفة الله المعرفة المطلوبة منا إلا بهذه الطريق لا بغيرها من الطرق العقلية أو الرياضية على طريق الرسل وسنتهم اللهم قد بلغت النصيحة فنا لكم ناصح أمين وما أسألكم عليه من أجر²⁶، ويزيد الأمير توضحا بين إله الرسل وإله العقول فيقول "الإله الذي جاء بأوصافه ونعوته الشارع، ما هو الإله الذي أثبتته العقول، فان الإله الذي دعا الشارع إلى عبادته، لا يعقل إلا متمثلا متخيلا ولا يدركه أحد على ما هو عليه في ذاته، فإنه الشارع موصوف بالاستواء على العرش ومنعوت بالنزول إلى السماء الدنيا وبالمعية مع كل مخلوق بالمجئ والإتيان في ظلل من الغمام والمشي والهولة والتردد والتبشيش والمحبة والرضا والغضب وغير ذلك مما ورد في الكتب الإلهية والسنة المحمدية"²⁷

²⁵ - يوسف الآية 39.

²⁶ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مرجع سابق، الموقف الثالث والسبعون بعد المائة، ج1 ص313-314.

²⁷ - نفسه، ج2 ص391

وفي أنواع المعتقدين في الله تعالى، يقسمهم الأمير الى نوعين، أهل الإطلاق وأهل التقييد، يقول "المعتقدون في الحق تعالى على نوعين، نوع يقيد إلهه في اعتقاده، والنوع الآخر يعتقد في إلهه الإطلاق، فمن قيده بأن اعتقد أن إلهه لا يكون كذا وكذا، سواء كانت الصورة التي قيده بها حسية أو عقلية أو خيالية أنكره إذا تجلى له في غير الصورة التي قيده بها، وتعوذ منه إذا قال له أنا ربك كما ورد في الصحيح"²⁸.

والتجليات عند الأمير تنقسم إلى قسمين اثنين تجليات وجودية وتجليات اعتقادية، وجودية تظهر في الأكوان واعتقادية تظهر في الأذهان والأفكار، وعنده "التجلي الإلهي كل ما ذكر في القرآن من النزول كقوله " وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ"²⁹، أي تجلى إليكم في صور التقييد، والتشبيه، والتحديد ويقول الأمير عبد القادر الجزائري "إن أهل هذا اللسان الواقفين في ميادين البيان قسموا التجليات إلى تجلٍ فعلي وتجلٍ أسمائي وتجلٍ صفاتي وتجلٍ ذاتي، فأما التجلي الفعلي فمعلوم، وكذا التجلي الأسمائي والتجلي الصفاتي وأما التجلي الذاتي فإنما يعنون به تجلي الحق - تعالى - للعبد من حيث أنه لا يظهر لذلك التجلي نسبة إلى اسم ولا صفة ولا نعت ولا إضافة، وإنما يعرف أنه تجلي له فقط. ومتى ظهر شيء مما ذكر نسب ذلك التجلي إلى ما ظهر، فالتجلي الذاتي عند الطائفة العلية هو تجلي الذات من حيث الذات الإلهية لا من حيث الذات الأحدية، فإنه محل المحال، ولا يقول به أحد من الناقصين فضلاً عن أهل الكمال، إذ الذات الأحدية هي الوجود المطلق عن الإطلاق والتقييد لا ظهور لشيء معها مما ينافي أحديتها، هذا المراد بالتجلي عندهم وإن كان لفظ التجلي الذاتي ربما يوهم شيئاً خلاف المراد"³⁰.

كما فرق الأمير بين التجليات الوجودية والتجليات الاعتقادية: فالكون والمخلوقات كلها مظاهر التجلي الإلهي - هذا التجلي المستمر والمتبدل بلا انقطاع و" من نظر بعينه المقيدة لا يرى إلا الأشياء المقيدة... ومن نظر بعين روحه الباطنة رأى الأشياء الباطنة من الأرواح وعالم المثال المطلق والجن، وكلها أكوان وحجب. ومن نظر بوجهه - وهو سره - رأى وجوه الحق تعالى التي له في كل شيء، فإنه لا يرى الله إلا الله ولا يعرف الله إلا الله وهذه الأعين الثلاثة هي عين واحدة اختلفت باختلاف مدرَكاتها"³¹، وفي مواقف الخلق من مسألة التجلي يرى الأمير "أن الناس في

²⁸ - نفسه، ج2 ص372.

²⁹ - سورة العنكبوت الآية46.

³⁰ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، مرجع سابق، ج 2 ص 116.

³¹ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، مرجع سابق، ج 1 ص 335.

تحول الحق تعالى في الصور ثلاث فرق، فرقة تنكره في الدنيا والآخرة، وتقول الأحاديث الواردة في التحول في الصور إلى أمور تليق بعقولهم وهم علماء الظاهر، وفرقة تنكره في الدنيا وتقره في الآخرة، تفويضاً على مراد رسول الله وعلى ما يليق بجلاله تعالى من غير تأويل وهم عامة السلف الصالح، وفرقة تقره في الدنيا والآخرة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج، ولا تولد مع اعتقاد ليس كمثله شيء وهم العارفون بالله أهل التجلي والشهود في الدنيا³².

كما يعتقد الأمير عبد القادر أن "التجلي في الصور ثبت شرعاً وكشفاً"³³، وأن رافضي عقيدة التجلي من علماء الإسلام هم مكابرون ومغالطون لأن "التجلي في الصور وارد في الصحاح صريحا لا يقبل تأويلاً إلا لمكابير مغالط"³⁴، والأمير يشير هنا إلى الأحاديث الصحيحة الواردة في أوثق وأصح كتب أهل السنة والجماعة، وحتى كبار فقهاء الإسلام الذين لا يؤمنون بعقيدة التجلي يضعهم الأمير في خانة العوام "أعني بالعامّة المتكلمين في التوحيد العقلي، الذين منعوا تجلي الحق تعالى في الصور"³⁵، لأن العلم الصحيح الحقيقي الوحيد، هو علم التجلي، وما عداه لا يعتبر علماً عند المحققين من أمثاله الصوفية "ولا علم عند القوم إلا ما حصل عن تجلٍ، فإذا كان العلم حاصلًا عن نظر في دليل عقلي، فليس بعلم عند الطائفة"³⁶. وليس غرض القوم إلا العلم المتعلق بالله الحاصل من التجليات الإلهية، لا العلم الحاصل من طريق العقل والنظر، فإن ذلك ليس بعلم عند الطائفة العلية، لما يطرأ عليه من الشبه والشكوك، فإن العلم الصحيح لا يحتمل النقيض³⁷، ويقول الأمير "وأعني بالعلم علم القوم رضوان الله عليهم، الحاصل من التجليات الربانية والإلهامات الروحانية، وأما العلم الحاصل عن النظر العقلي بالأدلة الفكرية فمثل هذا لا يسمى عند القوم علماً، لتطرق الشبه على صاحبه، فينقلب الدليل عنده شبهة، وقد تكون الشبهة عنده دليلاً وإن وافق العلم،

³² - نفسه، ج 2 ص 353.

³³ - نفسه، ج 2 ص 347.

³⁴ - نفسه، ج 2 ص 269.

³⁵ - نفسه، ج 2 ص 347.

³⁶ - نفسه، ج 2 ص 383.

³⁷ - نفسه، ج 2 ص 375.

فالعالم الحقيقي باسم العلم ما لا يقبل صاحبه الشبه، ولا يطرأ عليه تغيير وليس ذلك إلا علم الأنواق الحاصل بالتجليات³⁸.

وفي مراتب تجلي الحق، يقول الأمير "ان الحق تعالى له مرتبتان، مرتبة إطلاق وغيب، وهي مرتبة اللاتعيين واللاظهور، ومرتبة تقييد وتعين بالمظاهر الأسمائية والروحانية والصور الخيالية والجسمية من غير حلول ولا شئ غير ذلك كما لم تحل المعاني في الألفاظ وان دلت عليها وهو هو في المرتبتين فان المطلق عين المقيد والتعيين والتقييد والظهور أمور اعتبارية لا وجود لها في أعيانها فإنحجب المقيد من حيث تقييده عن نفسه من حيث إطلاقه"³⁹، ويقول "الحق تعالى من حيث الذات الغيب المطلق ليس داخلا في الأشياء، فلا تطلق عليه الشئية في مرتبة إطلاقه...والحق تعالى من حيث الذات والكنه والإطلاق لا يصح أن يُعلم، ولا أن يخبر عنه فان الذات لا تعلم لإطلاقها...أما في مرتبة التقييد، التي تعلم ولا تشهد، خلاف الذات فهي مرتبة الألوهية"⁴⁰.

وفي أن الله تعالى أسمى من فهومات العقول وفوق الآلات الحس، يقول الأمير " إذ ليس تعالى بمعقول فتعلمه العقول، ولا بمحسوس فتدركه الحواس، فالمنزه له على الإطلاق، كما قال مظهر الصفة العلمية محي الدين الحاتمي، إما جاهل، يعني بما ورد في الكتب الالهية والابحار النبوية من التشبيه، والجمع بين التشبيه والتنزيه، وإما صاحب سوء أدب، يعني بنفيه ما أثبتته الله تعالى لنفسه وأثبتته له رسله عليهم الصلاة والسلام، ورده ما ورد من التشبيه الى التنزيه العقلي بالتأويل الذي يستحسنه عقله، ويستمر عليه سوء الادب مع الله دنيا واخرة، فيتعوذ بالله حين يتجلى له في صورة لا تعطي تنزيهه العقلي، فقد ورد في الصحيح " أن الله تعالى يتمثل فيقول لهم انا ربكم فيقولون له نعوذ بالله منك حتى يأتينا ربنا، فيأتيهم ثانيا في صورة اخرى فيقول لهم انا ربكم فيقولون نعوذ بالله⁴¹، والذين يتعوذون من الله هم غير العارفين به تعالى، من منزله ومشبهه، وهم الذين حصروه وقيده، فما أشدها من حسرة وأعظمها من خيبة"⁴².

³⁸ - نفسه، ج1 ص171.

³⁹ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، مرجع سابق، ج2 ص470

⁴⁰ - نفسه، ج1 ص169

⁴¹ - الحديث بطوله موجود في صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة، الحديث رقم 7437، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية حديث رقم (299-182).

⁴² - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مرجع سابق، ج2 ص267.

وفي تأويل آيات الصفات والجمع بين التنزيه والتشبيه، يقول الأمير " فكل ما ورد في الكتاب والسنة من التشابهات، فمحلّه مرتبة الظهور والتعين بالمظاهر من اسمه تعالى الظاهر، وكل ما ورد في الكتاب والسنة من التنزيه، فمحلّه مرتبة التجرد عن المظاهر من اسمه تعالى الباطن، ما عرف هذا مع اعتقاد التنزيه في التشبيه، فإن الحق الذي لا يمتري فيه إلا محجوب بعقله ⁴³. وفي صفات العارف المحقق من حيث الإطلاق والتقييد، يقول الأمير " لا يكون العارف كاملاً حتى يشهد الإطلاق والتقييد في أن واحد، فيشاهده متعيناً لا متعين فهذا حد إطلاق العبد في الاعتقاد ⁴⁴.

وفي الفرق بين إله العقل وإله الرسل، يُفصّل الأمير مقرراً أن " غاية معرفة العقل، التنزيه عن صفات المحدثات، بأنه ليس كذا وليس كذا، وما هي هذه المعرفة المطلوبة منا، وإنما المطلوب منا معرفة طريقة الرسل عليهم السلام، بل الواجب تنزيه الحق تعالى عن معرفة العقول، فإنها حصرت الإله الحق تعالى وحدته وحصرت عليه، وكل محدود محصور، وكل محصور مقهور، كيف وهو تعالى القاهر فوق عباده، جل أن يدخل تحت حكم عقل وتصور خيال، فالذي ظنه العقل تنزيها هو غاية التشبيه بالمحدثات، وهذا الإفراط في التنزيه العقلي أورث جهلاً عظيماً لمتبعيه وأوقعهم في أبعد ما يتصور من البعد عن معرفة الله تعالى، ومعرفة تجلياته لعباده في الدنيا والآخرة، على أن التنزيه لا يحتاج إليه المؤمن إلا لرد على المشبه... فالإله الذي أرسل الرسل عليهم السلام وأمرنا بمعرفته ما هو الإله الذي عرفه العقل بنظره واكتسابه، تلك المعرفة من الدلائل المأخوذة من المحسوسات، فإن علم العقل كله من الحواس لان إله الرسل كما " ليس كمثله شيء"، ولا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، هو موصوف بأن له وجهاً ويدا ويدين وأيدياً، وعينا وأعينا ويمينا، وأنه يضحك ويبشّش ويتنزل ويجئ ويهرول ويتردد، وأنه مستو على العرش، وأنه في السماء وفي الأرض، وأنه معنا أينما كنا، إلى غير ذلك فهو منعوت بهذه النعوت كلها، وهي معروفة في لسان العرب المخاطبين بها ولا يمكن أن يخاطبوا بما لا يعرفون ولا يفهمون، فهذه النعوت مفهومة المعنى مجهولة النسبة إلى الإله، فالتنزيه الحقيقي هو أن نثبتها له ولا ننفى عنها، فنقول يهرول ويسعى ويجئ وينزل ولا تؤول ولا تشبه، كما قال مالك رضي الله عنه الاستواء

⁴³ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، مرجع سابق، ج1 ص 343.

⁴⁴ - نفسه، ج2 ص 203.

معلوم والكيف مجهول ،وإذا حصص الحق وتبين الأمر وانكشف السر ظهر أن التجلي الإلهي في أعيان الممكنات هو الذي أعطى هذه النعوت، فلا شاهد ولا مشهود إلا الله تعالى، قال تعالى وشاهد ومشهود⁴⁵، أترى انه اقسام بغيره، لا والله ما اقسام إلا بذاته.... فالإله الجامع بين التنزيه والتشبيه هو إله الرسل الذي أمرنا بمعرفته، ولا يعرف العقل آلهة هكذا، فإله العقل اله آخر متنزه في الإطلاق، لا يقبل نعتا من نعوت التشبيه، فإذا أمن العقل باله الرسل عليهم الصلاة والسلام فإما تسليما وتفويضا كما هو مذهب السلف فإنهم فوضوا من غير تأويل ولا حيرة ولا منازعة، وإما على كره واستسلام، كما هو شأن المتكلمين، ولا يزال العقل غير المؤيد بنور الإيمان الغالب على نور العقل في اضطراب وحيرة ومنازعة عن قبول أوصاف اله الرسل⁴⁶.

في أن التنزيه يكون في الذات والتشبيه يكون في الألوهية، يقول الأمير " فان للحق تعالى مرتبتين مرتبة الذات الهوية ومرتبة الالهية، فما ورد في الكتب الالهية والسنة المحمدية على التنزيه فهو مصروف الى الذات الهوية وما ورد في الكتب الالهية والسنة من التشبيه فهو مصروف الى مرتبة الالهية⁴⁷.

وقفة مع آية التنزيه، نتوقف ابتداء عند تأويل أكبر وأكثر آية قرآنية يستدل بها كل طوائف المسلمين على التوحيد وفق منطلقاتها المنهجية المذهبية، وهي قوله تعالى "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"⁴⁸، ففهم العارفين من الصوفية لهذه الآية يختلف كلياً عن باقي الفرق لها، فالمحققون من الصوفية يستدلون بهذه الآية نفسها لاثبات عقيدتهم في التجليات والتي يسمونها أيضاً، بعقيدة التشبيه في التنزيه والتشبيه في التنزيه، أو عقيدة الإطلاق والتقييد، يقول ابن عربي في الفصوص " قال الله تعالى "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" فنزه، "وهو السميع البصير" فشبّه...وهي أعظم آية تنزيه نزلت، ومع ذلك لم تخل عن التشبيه.... فأية "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" تجمع الأمرين في أمر واحد... فإنه شبة ونزه في آية واحدة⁴⁹، ويقول شيخ الصوفية الأكبر أن "العقل إذا تجرد لنفسه من حيث أخذه العلوم عن نظره، كانت معرفته بالله على التنزيه لا على التشبيه، وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلي كملت معرفته بالله، فنزه في موضع وشبه في موضع، ورأى سريان الحق في الصور الطبيعية والعنصرية، وما بقيت له صورة إلا و يرى عين الحق عينها، وهذه المعرفة التامة

⁴⁵ - سورة البروج الآية 3

⁴⁶ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مرجع سابق، ج1 ص 179

⁴⁷ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مرجع سابق، ج2 ص 279.

⁴⁸ - سورة الشورى الآية 11

⁴⁹ - ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م، ص 165.

التي جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله، وحكمت بهذه المعرفة الأوهام كلها، ولذلك كانت الأوهام أقوى سلطاناً في هذه النشأة من العقول، لأن العاقل ولو بلغ في عقله ما بلغ لم يخل من حكم الوهم عليه والتصور فيما عقل، فالوهم هو السلطان الأعظم في هذه الصورة الكاملة الإنسانية، وبه جاءت الشرائع المنزلة فشبهت ونزهت، شبهت في التنزيه بالوهم، ونزهت في التشبيه بالعقل، فارتبط الكل بالكل، فلم يتمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه ولا تشبيه عن تنزيه⁵⁰.

أما الأمير عبد القادر فيعلق على قوله تعالى "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"⁵¹، قائلاً "هاتان الايتان جمعتا التنزيه والتشبيه، فان قوله تعالى "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، تنزيه على زيادة الكاف كما هو رأي جمهور المتكلمين صريح في نفي التشبيه والمثل⁵²، وقوله تعالى وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "تشبيه صريح، لأن تعريف الجزئين يفيد حصر الخبر، وقصره على المبتدأ فهو في قوة لا سميع ولا بصير إلا هو، وكل سميع وبصير هو، ويصح تركيب قياس من الشكل الاول، فتقول كل حي هو سميع بصير، السميع البصير هو الله، لا غيره، فتكون النتيجة كل حي هو الله، لا غيره، أما صدق الاولى فبالضرورة، وأما صدق الثانية فبالكتاب العزيز، بل قوله "ليس كمثل شئ" بانفراده يعطى التنزيه والتشبيه، على أن الكاف كاف الصفة، كما هو رأي العارفين بالله⁵³، بل إن الأمير عبد القادر الجزائري يعتقد "أن آية (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)⁵⁴ وردت رداً على المنزهة تنزيههم المطلق الذي اقتضته العقول، وعلى المشبهة تشبيههم المطلق، حتى أدى ذلك ببعضهم إلى الحلول والاتحاد، فإن المشبهة لما رأت التشبيه الشرعي وهو ليس بتشبيه في الحقيقة، لأن التشبيه حقيقته إنما هو بالكاف ولطفة مثل وما عداه هو اشتراك في الالفاظ، تخيلت أنه تشبيه مطلقاً، في جميع المراتب، فاعتقدت تشبيه الاله بمخلوقاته، فضلت وأضلت، وكذلك المنزهة لما رأت التنزيه الشرعي الوارد في الكتب وعلى السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام، توهمت أن ذلك التنزيه مطلق في جميع المراتب، فجعلت وخسرت وفاتها علم كبير عظيم وهي علوم التجليات

⁵⁰ - نفسه، ص 166

⁵¹ - سورة الشورى الآية 11.

⁵² - خاصة وإن الله تعالى ذكر في القرآن وصف الإنسان انه سميعاً بصيراً، قال "إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا" سورة الإنسان الآية 2.

⁵³ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مرجع سابق، ج 1 ص 199.

⁵⁴ - سورة الشورى الآية 11.

حرمته المنزهة على الإطلاق بالجهل وسوء الادب مع الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، إذ التنزيه العقلي غير التنزيه الشرعي، فالتنزيه الشرعي الذي ورد في الكتب الالهية وعلى ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام، عبارة عن إنفراد الحق تعالى باسمائه وأوصافه، كما يستحقه لنفسه بطريق الأصلية، لا بتنزيه منزله، ولا باعتبار المحدث، ماثله أو شابهه، فليس بزاء التنزيه الشرعي تشبيهه بخلاف التنزيه العقلي فانه في مقابلة تشبيه⁵⁵، ويضيف الأمير أنه " ليس كمثله شيء، وكما نفت هذه الآية الكريمة المثلية نفت الضدية فلا مثل له تعالى فيدانيه ولا ضد له فيناويه بل هو المطلق حتى عن الإطلاق لان الإطلاق تقييد له بالإطلاق، وانما ضرورة التعبير أوجت الى ذكر الإطلاق ونحوه من الالفاظ الضرورية فالمفاضلة اذا على بابها بمعنى انه تعالى في مرتبة اطلاقه اكبر منه واعظم في مرتبة تقييده وهو هو في المرتبتين لا غير من غير تغيير يلحقه ولا تحويل فهو المطلق في ان تقييده المقيد في ان اطلاقه⁵⁶."

خاتمة

الباحث المتفحص لكتاب "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف" للأمير عبد القادر الحسني الجزائري، يلاحظ ان أغلب محاور وفصول هذا الكتاب، تدور حول عقيدة التجليات الصوفية، فهذه العقيدة هي التي تبناها الأمير ودافع عنها بل وجعلها هي حقيقة عقيدة السلف السلف الصالح.

مصادر ومراجع البحث

- 1- الأمير عبد القادر، المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، تحقيق عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1426 هـ، 2005م.
- 2- الأمير عبد القادر، المواقف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائرية، 1996م، (الكتاب مصور من النسخة الأصلية المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية).
- 3- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم إبراهيم الكيلاني، دار الكتب العلمية، 2004م، 1425هـ.

⁵⁵ - الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، مرجع سابق، ج2 ص264.

⁵⁶ - نفسه، ج1 ص115.

- 4- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، ج2، السيرة السيفية، السيرة القلمية، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903م.
- 5- عبد المجيد بن محمد الخاني، الحقائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، دار رئاس للطباعة والنشر، مطبعة وزارة التربية، الطبعة الثانية أبريل، 2002م
- 6- ابن عربي، الفتوحات المكية، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق، القاهرة، سنة 1293 هـ.
- 7- ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م.
- 8- محمد أبو المواهب الشاذلي، قوانين حكم الإشراق، دار الكتب العلمية بيروت، 2007م.
- 9- Jacques Berque, *L'intérieur du Maghreb (15ème-19ème siècle)*, [Gallimard Editions](#), 1978.